الصحافة الشّاميّة في مصر

د. سهيل الملاذي *

حين بدأت الصحافة تنتشر في بلاد العرب، منذ مطالع القرن التاسع عشر، كانت الدولة العثمانية تعاني من التفكك وتعيش بدايات الانهيار، وتخوض صراعاً على النفوذ والسيادة مع الدول الغربية وروسيا. وقد دخلت من أجل ذلك في حروب مستمرة مع الصرب واليونان وبلغاريا وروسيا.

وفيما انشغلت الدولة العثمانية بحروبها، تجرأ الغربيون فمدوا نفوذهم للسيطرة على أجزاء فيها، فقد بدأت دول المغرب العربي منذ عام١٨٣٠ تخضع للاستعمار الفرنسي، وبدأ الإنكليز بإرسال أساطيلهم تمهيداً للتدخل والاشتباك مع العثمانيين.

---

* باحث في التراث العربي (سورية)

- العمل الفني: الفنان أحمد الياس

لم تحـلّ حرب القـرم ١٨٥٤، ولا معاهدة باريس ١٨٥٦ مشكلات الدولة مع الغرب. بل لقد ساعدت الدول الغربية على تأجيج الصراع بين الطوائف المختلفة مما أدى إلى الفتنة الطائفية التي نشبت في لبنان عام ١٨٦٠. وهنا تدخلت الدول الغربية من جديد لتجعل لبنان متصرفية شبه مستقلة. واستغلّت ما حدث لتطالب بالسيطرة على الأماكن المقدسة، تحت ما سمي بالمسألة الشرقية.

في ظل هذه الأحداث تدفقت البعثات الدينية والإرساليات التبشيرية على لبنان خصوصاً، فأنشأت المدارس والمعاهد، واستقدمت المطابع، وأصدرت العديد من الصحف والنشرات.

وهكذا حدث الاحتكاك بين الثقافتين العربية والغربية، ونشأ لدى العرب نزوع إلى الحرية والنهوض الاجتماعي والتقدم العلمي.

وزادت أزمات الدولة العثمانية بنشوء عداوة مع الحركة الوهّابية في الحجاز ونجد، ونشوب خلاف مع أسرة محمد علي باشا في مصر على النفوذ والمكانة لدى العرب. وقد تفاقم هذا الخلاف، فأرسل محمد علي حملة إلى سورية بقيادة ابنه إبراهيم باشا (١٨٣١-١٨٤٠)، الذي أحدث فيها إصلاحات إدارية واجتماعية وعلمية. ولكن ما إن امتّد به الطموح بعيداً للقضاء على الدولة العثمانية، وزحفت جيوشه شمالاً ووصلت إلى قونية، حتى شعر الغربيون بالخطر، فإنّ استبدال دولة قويّة ناشئة، بدولة ضعيفة هرمة، من شأنه أن يهدد مصالحهم، ويجهض أطماعهم في السيطرة على المنطقة، ولهذا ضغطوا على الطرفين، مما جعل ابراهيم باشا ينسحب بحملته إلى بلاده. وبانتهاء حملته انتهت كل آمال الإصلاح التي بدأها. لكنها في الوقت نفسه كرّست القطيعة بين الدولة العثمانية وأسرة محمد علي في مصر.

وإذاً، فإن الدولة العثمانية لم تلتفت إلى إصلاح الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ولاية سورية، التي زادتها الكوارث والأوبئة والفتن سوءاً، فضلاً عما تعانيه البلاد من الفقر والجهل والتخلف. بل لقد عالجت ذلك بمزيد من الضغط والظلم والضرائب، والتضييق على الصحافة السياسية والفكرية.

لم تعرف سورية في العهد العثماني قبل



انقلاب ١٩٠٨ إلاّ العدد القليل من الصحف، ومعظمها صحف رسمية أو تدور في فلك الدولة وسياستها:

- سورية: أنشأها والي دمشق راشد باشا في دمشق عام ١٨٦٥.

- فرات: أنشأها والي حلب جودت باشا في حلب عام ١٨٦٧.

- دمشق: أنشأها أحمد عزت باشا العابد في دمشق عام ١٨٧٩.

- الشام: أنشأها مصطفى واصف في دمشق عام ١٨٩٦.

أما القليل جداً من الصحف الحرّة فكان مصيره الإغلاق والاضطهاد.

- الشهباء: لعبد الرحمن الكواكبي في حلب عام ١٨٧٧.

- اعتدال: لعبد الرحمن الكواكبي في حلب عام ١٨٧٩.

- مرآة الأخلاق: لسليم وحنا عنحوري في دمشق عام ١٨٨٦.

- الشذور: لعبد المسيح الإنطاكي في حلب عام ١٨٩٧.

- الشمس: لجورج متّى وجورج سمّان في دمشق عام ١٩٠٠.

ولم يكن وضع الصحافة في فلسطين يختلف كثيراً عن وضعها في سورية.

أمـا في لبنان، فنتيجـة لوضعه الخاص، تمّكن من إقامـة عدد من المطابـع، وإنشاء العديد من الصحف. لكنّها كانت في مجملها صحفـاً دينية أو طائفيـة، أنشأتها الطوائف والإرساليـات الأجنبيـة، أو اجتماعية ذات طابـع خيري أو إنسـاني، أنشأتها الجمعيات المختلفة، أو علمية تربويـة أنشأتها المدارس والكليات. أما الصحف الأدبية والفكرية، فلم تتوفر لها شروط الاستمرار.

ولا ننكـر أنّ الأوضـاع في بلاد الشام قد اختلفـت عقب إعلان دستـور ١٩٠٨، لكنها كانـت فترة مؤقتـة سادها جو مـن الحرية المصطنعـة ، شهدت الصحافـة فيها نشاطاً ملحوظاً، لكنّ الوقائع ما لبثت أن كشفت عن سياسة عنصرية طورانية مارسها الاتحاديون. مما دفع أبناء بلاد الشام من جديد للهجرة عن وطنهم، ينشئون الصحف ويكوّنون الجمعيات السياسية والأدبيـة السرّية والعلنية، في بلاد الغرب وفي مصـر خصوصاً. وجاءت الحرب العالمية الأولى ومـا رافقها من أوضاع صعبة لتدفع بالمزيد من الشاميين للهجرة.

الأجواء العامة في مصر التي ساعدت على نمّو الصحافة الشامية فيها:

تعرّفت مصر على الطباعة والصحافة من خلال حملة نابليـون عليها (١٧٩٨-١٨٠١). فقـد جلب معه مطبعة، قامـت بطباعة أول صحيفـة عربية هي جريـدة «المنبّه» في عام ١٨٠٠. لكن هذه الصحيفة لم تؤثر في الحياة الفكريـة، إذ إنّهـا كانـت مخصصة لطباعة بيانات الجيشـ الفرنسي إلى المصريين، وقد انتهى أمرها بعد عام واحـد من إصدارها، حـين انسحبـت مطبعتها من مصـر بانتهاء الحملة.

وفي عهد محمد علـي باشا الذي انتخب عـام ١٨٠٥ واليـاً على مصر بـدأت مرحلة من النهوض. فقد أرسل محمد علي البعثات العلمية إلى الغرب، واستحضر كل ما يتمتع به الغربيون من فكر وثقافة.

وفي عام ١٨٢١ أنشـأ المطبعة الأهلية أو مطبعة الباشا في بولاق، قامت بطباعة جريدة «الوقائع المصرية» الرسمية، التي صدرت عام ١٨٢٨، فكانت ثانية أقدم صحيفة عربية بعد جريدة «المنبّه» أو الحوادث اليومية. وزاد من أهميتهـا أن قام أحد رجال النهضة البارزين وهو رفاعة رافع الطهطاوي بتحريرها. حتى لقد اعتبرت مع «مرآة الأحوال» في الآستانة، التي أصـدرت رزق اللّه حسون عام ١٨٥٥- وكان أول عربـي يصـدر صحيفـة عربيـة

باسمه- ومع «حديقة الأخبار» في بيروت التي أنشأها خليل خوري عام ١٨٥٨وكانت أول صحيفة عربية مستقلة يصدرها عربي في بلاد العرب- أهم جرائد ذاك الزمان.

ثم أنشئت سبع مطابع رسمية، وعدة مطابع أجنبية، وظهرت منذ عام ١٨٤٠ بعض المطابع الخاصة. أما الصحف فتوالى صدورها، حتى بلغ عددها في عام١٨٧٠ سبعاً وعشرين جريدة ومجلة.وزاد عددها بعد هذا التاريخ زيادة مطّردة.

وفيما كانت أنوار النهضة العربية الحديثة تخبو في بلاد الشام، كانت تتوهج في وادي النيل، وتجذب إليها كبار المفكرين والأدباء والكتّاب والصحافيين من أبناء بلاد الشام، الذين وجدوا في مصر ملاذاً آمناً لهم. وجّوا من الحرية الفكرية افتقدوه في بلادهم. وانضمّوا إلى أقرانهم من روّاد النهضة الحديثة في مصر، ليقيموا معاً دعائم المجتمع العربي الجديد، مستفيدين مما وصل إليه الغرب في نهضته الحديثة.

هجرة أبناء بلاد الشام إلى مصر:

وهكذا فإن الدولة العثمانية قد تعّرضت لمؤامرات لا تنتهي، وانشغلت بحروب مستمرة، فلم تلتفت إلى إصلاح الأوضاع المتردّية في الولايات التابعة لها، بل زادت سياستُها الأوضاع سوءاً. فقد أرهقت كاهل المواطنين في بلاد الشام بفرضها مزيداً من الضرائب، لتغذية آلة حربها، مما تركهم عرضة للفقر والتجويع. وعجزت من ناحية أخرى عن منع الاحتقان بين الطوائف المختلفة في المجتمع الواحد، ممّا تسبب في كثير من الفتن. ثم إنّها تجاهلت المشاعر القومية العربية التي تأججت في بلاد الشام، وواجهت ذلك بالضغط على الحريّات العامة، والتضييق على الفكر، والرقابة على الصحافة والنشر وإنكار حق المواطن العربي في التعليم.

وحين خاب أمل الشاميين في إصلاح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية هجروا وطنهم إلى الخارج، وكانت مصر الحاضن الأكبر لقوافل المهاجرين، الذين أقاموا فيها ودخلوا في نسيج المجتمع المصري، فأنشؤوا الشركات ومارسوا التجارة والأدب وتمتّعوا بكل ما يتمتع به المواطن المصري من حقوق، وما يترتب عليه من واجبات.

وقد ألّف الكاتب والصحفي الشامي الياس زخوراً كتابه الببليوغرافي «أفراد الأسر

السورية في الديار المصرية» (المطبعة العربية بالقاهرة، لخير الدين الزركلي) ١٩٢٧. وفيه ترجمة صادقة للسوريين الذين أمّوا مصر، وما يزال كثير منهم مقيماً فيها إلى الآن.

مساهمة النخب الشامية المثقفة في الحركة الفكرية في مصر:

من الطبيعي أن يكون على رأس هؤلاء المهاجرين نخبة أهل الفكر والأدب من أصحاب المشروع النهضوي العربي وحملة الأقلام الحرّة، وفيهم عدد كبير من رجال الصحافة، وقد ضاقت بلاد الشام في ظلّ الاستبداد بأفكارهم ورؤاهم التنويرية، فتابعوا من مصر رسالتهم، وأنشأ الكثيرون منهم صحفاً ومجلات في القاهرة والإسكندرية. حملت مع الصحف المصرية هموم مشروعهم، وعبّرت عن آمالهم وتطلعاتهم لبناء مجتمع عربي متقدم، وساهمت في ازدهار الصحافة العربية في مصر. ومن هؤلاء:

سليم وبشارة تقلا، أديب إسحق، الشيخ رشيد رضا، فرح أنطون، يعقوب صرّوف، فارس نمر، شاهين مكاريوس، سليم النقّاش، سليم البستاني، إبراهيم اليازجي، كريم ثابت، جرجي زيدان، لويس صابونجي، سليم فارس، شبلي شميّل، نقولا الحداد، نجيب الحداد، سليم عنحوري، عبد الرحمن الكواكبي، عبد المسيح الإنطاكي، ميخائيل الصقال، اسكندر الشلفون، حبيب جاماتي، طانيوس عبده، خليل مطران، محمد كرد علي، قسطاكي الحمصي، سليم سركيس، نجيب وسليم هندية، عادل الغضبان، وكثيرون غيرهم.

كما أمّ مصر عدد من الأديبات والكاتبات الشاميّات، شاركن بأقلامهن وبما أقمنه من صالونات أدبية، وبما أنشأنه من صحف نسائية- كانت باكورة الصحف النسائية العربية- في الحياة الفكرية والأدبية والاجتماعية، وخصوصاً ما يتعلق منها بالمرأة العربية وقضاياها ودورها في مشاريع النهضة العربية، ومنهن:

زينب فواز، لبيبة هاشم، وردة اليازجي، هند نوفل، هنا كسباني كوراني، الكسندرة الخوري أفرينوه، لبيبة مخايل، مي زيادة، أنيسة عطا الله، روز أنطون، ماري فرح: روجينا عوّاد، مريم مظهر، لويزا حبالين، استير مويال، وغيرهن.

وقد انضم هؤلاء رجالاً ونساءً إلى النهضويين المصريين من الرجال والنساء،

وقامــوا معاً بالدفاع عــن حركتهم التنويرية العربية.

الصحافة الشامية في مصر:

كان د. لويــس صابونجــي قــد أنشأ في بيروت في ١٨٧٠/٥/١١ مجلة فكرية هامة هي «النحلة»، وبعد أن أصدر منها واحداً وثلاثين عدداً، اضطر إلى إيقافها بأمر من راشد باشا والي سوريــة، وعندئذ قصــد القاهرة، وتابع إصدارهــا منها تحت اســم «النحلة الحرة»، وكانت مجلة جدلية مخطوطة ومطبوعة على الحجر في عشرين صفحة، ظهر منها في عام ١٨٧١ عدد واحد فقط، وهو الثاني والثلاثون لمجلته السابقة، غير أنّها كانت باكورة الصحف الشاميــة في مصر، ارتحل بعدهــا إلى لندن ليصدر منها عدداً من الصحف.

أمــا ثانيــة الصحف الشاميــة في مصر فكانت جريدة «الأهرام» الأسبوعية، وهي من أشهر الصحف العربية، وما تزال تصدر إلى اليوم.وقد أسسها الأخوان سليم وبشارة تقلا في الإسكندريــة في ١٨٧٦/٨/٥، وأردفاهــا بجريــدة يوميــة هــي «صدى الأهــرام» في ١٨٧٦/٩/٩. وبإقفال «صدى الأهرام» أصدرا جريدة «الوقت» عام ١٨٧٩. ثم أوقفا «الوقت» وأصدرا «الأهرام» يومية في ١٨٨٠/١٢/١٤. وذكر عــن تأسيسهما جريــدة «الأحوال» في ١٨٨٢/٦/٩. وحــين توفي سليــم عام ١٨٩٢ انتقلت الأهــرام إلى أخيه بشارة، الذي نقلها في عام ١٨٩٩ إلى القاهرة. وبوفاة بشارة عام ١٩٠١، آل امتيازهــا إلى ابنه جبرائيل، وكان صغير السن، فأدارتها زوجته بتسي تقلا حتى وفاتهــا عام ١٩٢٤، وقــد استلم داود بركات رئاســة تحريرها منذ انتقالهــا إلى القاهرة ١٨٩٩. ويذكــر أنّه أسس في عام ١٩٠١ نقابة الكتّاب واختــبر رئيساً لها. أما جبرائيل تقلا فمنذ عاد من باريس إلى القاهرة عام ١٩١٢، عمل -بإشراف والدته- على تطوير الجريدة وتجديــد مطبعتها. وحــين تأســست نقابة الصحافيــين عــام ١٩١٩ انتخــب بالإجماع رئيســاً لها، وجــدد انتخابه مــرات عديدة. و«الأهرام» اليوم مــن أكبر الصحف المصرية وأهمّها.

ولا بــد لنــا أن نذكــر جهــود الشاعــر والصحــافي الدمشقي أديب إسحق (١٨٥٦-١٨٨٥) وأخيــه عوني إسحــق، وجهود سليم النقّاش في خدمة الصحافة العربية. فبعد أن لمع اسم أديــب إسحق في الصحافة اللبنانية،

وبخاصة في «ثمرات الفنون» و«التقدم» قدم إلى مصر حيث لزم الأفغاني فترة من الزمن، ثم أصدر جريدة «مصر» في القاهرة عام ١٨٧٧، وكانت جريدة سياسية أسبوعية، وما لبث أن انتقل بها إلى الإسكندرية، واتبعها بإصدار جريدة «التجارة» في ١٨٧٨/٥/١٥ بالتعاون مع سليم نقّاش. وفي عام ١٨٧٩ رحل أديب إلى باريس ليصدر منها في ١٨٧٩/١٢/٢٤ جريدة «مصر القاهرة»، وليلعب فيها دوراً في الحياة الفكرية، فيما بقي سليم نقاش في الاسكندرية، وأصدر فيها عام ١٨٨٠ جريدتين هما «العصر الجديد» و«المحروسة». لم يمكث أديب في باريس طويلاً، إذ ألحّ عليه المرض، فعاد إلى بيروت ثم إلى مصر، إذ ألحّ عليه المرض، فعاد إلى بيوت ثم إلى مصر، حيث أعاد إصدار مجلته «مصر» من الإسكندرية ١٨٨١ والقاهرة ١٨٨٢، بالتعاون مع أخيه عوني. توفي سليم نقاش عام ١٨٨٤، أما أديب إسحق فقد رحل إلى بيروت بعد أن اشتدّ به المرض ومات فيها مصدوراً في العام التالي.

ولا بد أن نذكر أيضاً جهود الأديب والصحافي الدمشقي سليم عنحوري (١٨٥٦- ١٩٣٤) الذي لم تشغله الأعمال التي مارسها في سورية وفلسطين عن المشاركة في الحياة الأدبية والشعرية، وعن ممارسة مهنة الصحافة، فقد حرر في جريدة «سورية» (١٨٦٥) بدمشق، وفي الصحف اللبنانية ومنها «الجنّة» و«الجنان». وفي عام ١٨٧٨ شخص إلى الإسكندرية ثم القاهرة، واتصل بآل تقلا والأفغاني ومحمد عبده ورياض باشا وعلي باشا مبارك، وقدّم كتابه «كنز الناظم» إلى الخديوي إسماعيل، فمنحه ثلاثة امتيازات لمطبعة «الاتحاد» ومجلة «الشمس» العلمية الأدبية، وصحيفة «مرآة الشرق»، فجلب مطبعة من بيروت، وأصدر جريدة «مرآة الشرق» السياسية الأدبية نصف الأسبوعية في القاهرة، في ١٨٧٩/٢/٢٤. جعل خطة جريدته معتدلة ترمي إلى مناهضة النفوذ الأجنبي في مصر، وإلى خدمة الخديوي وحكومته في الوقت نفسه.

حفلت الجريدة بأقلام عدد من الأدباء والمفكرين أمثال سليم عباس شلفون وجمال الدين الأفغاني والشيخ علي يوسف (صاحب الآداب والمؤيد)، ولقيت رواجاً كبيراً.

حرر العنحوري بقلمه سبعة عشر عدداً من جريدته، ثم عاد إلى سورية ملبياً دعوة

واليها المصلح مدحت باشا. وسلّم الجريدة إلى أمين ناصيف، الذي حوّلها عام ١٨٨٢ إلى مجلة أسبوعية، كان يحررها خليل بن ناصيف اليازجي. واستمرت في الصدور حتى نيسان١٨٨٦.

وفي دمشق كان يراسل الصحف البيروتية والمصرية، وانتدب لإنشاء القسم العربي من جريدة «دمشق» (١٨٧٩) لأحمد عزّت باشا العابد، وكان قريباً منه.

قبض حمدي باشا والي سورية الجديد على العنحوري لتعريضه به في مجلة«جنان» في عامي ١٨٨٤-١٨٨٥. وبعد أن أفرج عنه أصدر بدون ترخيص مجلة «مرآة الأخلاق» نصف الشهرية، بالتعاون مع ابن عمه حنّا عنحوري عام ١٨٨٦، وهي أول مجلة في سورية. ولكن ما إن صدر منها عدد واحد حتى ألغيت بأمر الوالي. وعندئذ احترف المحاماة ١٨٩٠ والتفت إلى التأليف والنظم والكتابة في جريدتي «دمشق» و«الشام»(١٨٩٦).

وفي عام ١٩٠٦ أنشأ مجلة «الشتاء» في مصر، ثم أسهم في تحرير «المشكاة» التي صدرت بدمشق عام ١٩١٢. انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي الذي تأسس عام ١٩١٩ بدمشق. وتوفي فيها عام ١٩٣٤.

في عام ١٨٨٣ أصدر سليم فارس الشدياق جريدة «الجوائب» التي سبق لوالده أحمد فارس الشدياق أن أصدرها في الآستانة عام ١٨٦٠. وما لبث سليم أن استبدل بها جريدة «القاهرة» نصف الأسبوعية ثم اليومية في ١٨٨٥/١١/٢٣، ثم استبدل بها من جديد جريدة «القاهرة الحرّة» اليومية السياسية عام ١٨٨٦. وقد عمل نجيب هندية (الحلبي) في تحريرها. وكانت تنتهج خطة معادية لسياسة بريطانيا في الشرق، وتلتزم جانب الخديوي توفيق الأول في صراعه مع حكومة الآستانة، وتفنّد مساعيها لإضعافه -كما كان شأن جريدة «مرآة الشرق» للعنحوري-.

ما لبث سليم فارس أن حوّل امتيازها لمحمد عارف المارديني، الذي أصدرها لأربعة أعوام ونصف، إلى أن احتجبت في عام ١٨٩٣. وفي ١٨٩٥/٨/١٥ أعاد المارديني إصدارها أسبوعية، وعهد إلى محمد شريف بإدارتها. ثم اشترى كمال الدين الدمشقي امتيازها، واستمرت في الصدور حتى حوالي عام ١٨٩٧.

أما نجيب هندية فقد ترك «القاهرة الحرّة» فور تنازل سليم فارس عنها، ليؤسس

في القاهرة عام ١٨٩١ جريدة خاصة به هي «الدليل» بالعربية والفرنسية، وجعلها متخصصة بالأمور التجارية والاقتصادية. ثم ألغاها وسافر إلى لندن.

وكان سليم فارس قد سبق نجيب هندية إلى لندن، وأنشأ فيها جريدة «مريت» التركية عام ١٨٩٠، وهي مناوئة للعثمانيين، فتعاون نجيب وأخوه سليم مع سليم فارس في تحريرها، إلى أن تمكنّا من إصدار جريدة «الخلافة» في لندن في ١٨٩٩/٩/٢٨.

في عام ١٨٨٤ أصدر اثنان من أعلام الأدب والعلم وهما د. يعقوب صرّوف وفارس نمر مجلة «المقتطف» في القاهرة.وهي المجلة التي سبق لهما أن أصدراها في بيروت عام ١٨٧٦. وكان عددها الأول في القاهرة هو السادس من مجلدها التاسع. ثم أصدرا معاً في القاهرة أيضاً جريدة «المقطّم» في ١٨٨٩/٢/١٤، وهي جريدة يومية سياسية تجارية أدبية. شاركهما في إصدارها شاهين مكاريوس صاحب مجلة «اللطائف» الشهرية، التي سبق أن أصدرها ١٨٨٦/٥/١٥ في القاهرة. وحين توفي شاهين عام ١٩١٠ حلّ ابنه سليم محلّه في «المقطّم».

لم تقتصر الصحف التي أصدرها الشاميون في مصر على الجانب السياسي، بل تنوعت وشملت مجالات الحياة على اختلافها. ففيما أصدر د. شبلي شميّل مجلة طبية هي «الشفاء» في القاهرة في ١٨٨٦/٢/١٥. أصدر أمين شميّل جريدة «الحقوق» في القاهرة في ١٨٨٦/٣/٦، وهي أول صحيفة قضائية عربية، وقد آلت إثر وفاة صاحبها في ١٨٩٧/١٢/٦ إلى المحامي المعروف إبراهيم جمّال. كما أصدر أمين ناصيف جريدته السياسية العلمية الأدبية « الصادق» في القاهرة في ١٨٨٦/٩/٢. وقام نجيب غرغور بإصدار عدد من الصحف في الإسكندرية، «الببغاء»١٨٨٧، و«المنارة» ١٨٨٨ وهي أول جريدة مصورة، و«حديقة الأدب» ١٨٨٨ وهي مجلة روائية، ومجلة «العام الجديد» في مطلع عام ١٨٩٥، وجريدة «أبو النوّاس» في ١٨٩٥/١١/٣. وكان نجيب غرغور قد أصدر في الإسكندرية أيضاً في ١٨٩٤/٢/١٨ بالتعاون مع روفائيل مشاقة مجلة «الابتسام» وهي مجلة مرحة.

ومنذ العقد الأخير من القرن التاسع عشر ظهر عدد آخر من الصحف المتنوعة

التي أصدرها الشاميّون في مصر. فقد صدرت جريدة أسبوعية سياسية تجارية في القاهرة في ١٨٩١/٤/٦ هي «صدى الشرق» لمحررها حبيب فارس وصاحب امتيازها كريسيان بوجاد (الفرنسي الأصل)، وأصدر حبيب فارس في القاهرة في ١٨٩١/٤/١٥ مجلة زراعية هي «كنز الزراعة»، كما أصدر د. شلهوب في ١٨٩١/١٢/١ ثانية المجلات الطبية في القاهرة هي «الفوائد الصحية». وفي مطلع أيلول ١٨٩٢، أصدر المؤرخ والأديب والروائي المعروف جرجي زيدان مجلته المشهورة «الهلال» في القاهرة. وهي المجلة التي ما تزال تسدي إلى الثقافة العربية مزيداً من كنوز المعرفة. وكان للشباب نصيب من الصحافة تمثّل في مجلة «الفتى» التي أصدرها في القاهرة في ١٨٩٢/٩/١ اسكندر شلهوب. كما كان للمرأة نصيب أيضاً تمثّل في مجلة «الفتاة» التي أصدرتها هند نوفل في الإسكندرية في ١٨٩٢/١١/٢٠، وكانت باكورة المجلات النسائية العربية التي توالى إصدارها بعدئذ.

ومن أهم الصحف الشامية التي استمرت في الظهور في مصر مجلة «البيان» التي أنشأها إبراهيم بن بطرس اليازجي (١٨٤٧- ١٩٠٦) وبشارة زلزل في القاهرة في ١٨٩٧/٣/١، صدر منها مجلد واحد، ثم أتبعاها بمجلة أخرى في ١٨٩٨/٩/١٥ في «الضياء»، ظهر منها ثمانية مجلدات، صدر العدد الأخير من مجلدها الثامن في تموز ١٩٠٦.

ومن هذه الصحف أيضاً جريدة «السلطنة» التي أصدرها اسكندر شلهوب في القاهرة في ١٨٩٤/٥/٢٠، وهي تحمل اسم الجريدة التي كان قد أصدرها سميُّه في الآستانة قبل أربعين عاماً. وجريدة «المنار» التي أصدرها الشيخ رشيد رضا في القاهرة في ١٨٩٨/٣/١٥. وكانت بحق سجلاً صادقاً للحياة الفكرية العربية وتفاعلاتها في ذلك الحين.

وكان الشاعر والكاتب والمؤرخ الحلبي ميخائيل بن أنطون الصقال (١٨٥٢-١٩٣٧) قد رحل إلى مصر في عام ١٨٩٧، وأصدر في القاهرة مجلة «الأجيال المصورة» التي تعتبر أول مجلة عربية مصورة على النسق الأوروبي الحديث. صدرت في ١٨٩٧/٦/١٩ على شكل جريدة، ثم تحوّلت منذ العدد الرابع إلى مجلة. عاد الصقال إلى حلب بعد

عام ونصف ليتفرّغ لكتابة تاريخ حلب ولفنون الأدب الأخرى.

كذلك رحل الكاتب والأديب الحلبي عبد المسيح الإنطاكي (١٨٧٤-١٩٢٣) عن حلب إلى القاهرة، إثر إغلاق مجلته «الشذور» عام ١٨٩٨، فأنشأ في القاهرة جريدة «الشهباء» بالاشتراك مع أومير حكيم. صدرت في ١٨٩٨/١١/١ على شكل مجلة نصف شهرية جامعة تبحث في كل الشؤون وخصوصاً الأدبية. ثم حوّلها إلى جريدة. وفي ١٩٠٢/٣/١٦ أبدل بها مجلة «العمران». وكانت مجلة ضخمة مطبوعة طباعة أنيقة على ورق صقيل ومزيّنة بالرسوم، وكانت واسعة الانتشار. أصدر منها حتى وفاته بالقاهرة عام ١٩٢٣ اثني عشر مجلداً.

وكان المفكر النهضوي عبد الرحمن الكواكبي (١٨٥٤-١٩٠٢) قد لحق بتلميذه الإنطاكي إلى القاهرة عام ١٨٩٩. واتصل فيها بكبار رجال الفكر والأدب والصحافة أمثال:

الأفغاني ومحمد عبده وصالح عيسى وإبراهيم سليم النجار ورشيد رضا، واتصل بالسوريين الأحرار المقيمين في مصر كمحمد كرد علي ورفيق العظم وعبد المسيح الأنطاكي.

وقد عرّفه رشيد رضا صاحب «المنار» بالشيخ علي يوسف صاحب «المؤيد»كبرى جرائد مصر والشرق آنذاك. وبعد أيام أتيح لكتابه «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد» أن ينشر على شكل فصول ومقالات متتابعة على صفحات «المؤيد». كما أتيح لكتابه الآخر «أم القرى» أن يرى النور تحت سماء مصر. وقد استهوت دعوة الكواكبي إلى خلافة عربية الخديوي عباس، فأوفده في مهمة سياسية إلى المحميّات العربية. وفي مصر أنشأ الكواكبي جريدة «العرب»، وفي صحفها كتب مقالاته أو تحت اسم الرحالة كاف أو الفراتي، وفيها توفي ودفن عام ١٩٠٢.

في هذه الفترة أمّ مصر عدد من الأدباء والكتّاب السوريين، ومنهم قسطاكي الحمصي (١٨٥٨-١٩٤١) الذي سافر إلى القاهرة عام ١٩٠٥، وتعّرف فيها على أصحاب القلم والبيان: أحمد زكي باشا وسليمان البستاني وجرجي زيدان والشيخ علي يوسف وداود بركات وأحمد شوقي وخليل مطران وحافظ إبراهيم وإمام العبد،وكتب مقالاته في

صحفهـا: «البيان والضياء والهلال والمقتبس والنفائس العصرية والآثار».

ومنهم محمد كرد علـي (١٨٧٦-١٩٥٣) الأديـب والكاتـب والصحافي الـذي تمرّس بفنـون الصحافـة، مـن خـلال تحريره في صحف «الشـام والمقتطف والرائد المصري». وقد فرّ إلى مصر هرباً من الجور الحميدي، فأنشأ في القاهـرة في ١٩٠٦/٢/٢٥ جريدة «المقتبس». لكنّه مـا إن أعلـن دستور عام ١٩٠٨، حتـى عاد إلى دمشـق، وأصدر فيها عام ١٩٠٨ مجلة «المقتبس». لكنّه ما إن أعلن دستـور عـام ١٩٠٨، حتى عـاد إلى دمشق، وأصـدر فيها عام ١٩٠٨ مجلة «المقتبس»، ثم أردفها بجريدة بالاسم نفسه.

إنّ الحديـث عن الصحافـة الشامية في مصر يطـول. وحسبنا أن نقـول: إن ازدهار الصحافـة المصريـة الحديثة مديـن لهؤلاء الرواد مـن أبناء بلاد الشام الذين أسسوا في مصر لصحافة عربيـة متطورة. فقد أنشأوا حتـى نهاية العهـد العثماني أكـثر من مائة جريدة ومجلة، ثلثاهـا في القاهرة وثلثها في الإسكندرية.

الصحافة النسائية الشامية في مصر:

مـن الإنصـاف أن نذكـر أنّ الصحافة النسائيـة العربية قد انطلقت من مصر على يد الأديبات والكاتبات من بنات بلاد الشام. فقد هاجرت النسـاء الشاميات مع أسرهنّ، وللأسباب نفسهـا، وكانت مصر البلد الأكثر حفاوة باستقبال قوافل الهجرة.

وفي الوقـت الذي لم تكـن قوانين الدولة العثمانيـة تسمـح فيه بصـدور أي كتاب أو إنشـاء أي صحيفة نسائية في بـلاد الشام، فإنّ مصر احتضنت نشاط النساء الشاميات، وشجعتهـنّ على خوض مضمـار الصحافة، فـكان لها حسن الضيافـة، وكان لهنّ فضل الريادة في صحافة المرأة العربية.

خاضت المـرأة الشامية معترك الصحافة بكل ثبـات وجرأة، وتعرّضت لـكل المواضيع التـي عالجها رجالات النهضـة، وخصوصاً قضايا المـرأة، باعتبارها جـزءاً من قضايا المشروع النهضوي العربي.

وكان اقتحامها ميدان الصحافة من خلال المقـالات والفصول التي نشرنها في الصحف المصرية التـي فتحت لها صـدر صفحاتها، ومنها: المفيد والمؤيد والنيل وفرصة الأوقات

والمهندس والأهالي والعرفان والأهرام والفتاة وأنيس الجليس والمقتطف. أو من خلال تأسيسها في مصر أوائل الصحف النسائية العربية.

كانت زينب فواز (١٨٤٦-١٩١٤) أول صوت نسائي انطلق في الصحف المصرية (النيل والمؤيد والأهالي والمهندس والعرفان والمقتطف..) يطالب بالمساواة مع الرجل في العلم والعمل والسياسة والاجتماع، ويدعو إلى مقاومة الاحتلال، ومقاطعة البضائع الأجنبية، وينادي بتكوين الأحزاب للدفاع عن حقوق الأمة.

خرجت زينب فواز في دفاعها عن حقوق المرأة عن إطار الدعوات التقليدية، فطالبت بسنّ قوانين وتشريعات تؤكد هذه الحقوق، فكانت أول رائدة عربية تحمل رسالة المرأة، وتبرز دورها المهمّ في مجتمع النهضة، وتدافع عنها بجرأة وإخلاص.

حضرت زينب فواز اجتماعات الحزب الوطني لمصطفى كامل، وألّفت في مصر أوائل الأدب النسائي في تراجم النساء والمسرح الشعري والرواية والشعر، ونشرت في عام ١٩٠٤ «الزينبيات» أو «الرسائل الزينبية» وهو مجموع مقالاتها في الصحافة المصرية.

ومن مصر غادرت هنا كسباني كوراني (١٨٧٠-١٨٩٧) إلى التشيلي لتمثل النساء السوريات في مؤتمر النساء العالمي في سانتياغو عام ١٨٩٣. وأمضت في المهجر ثلاث سنوات من عمرها القصير تكتب وتحاضر وتراسل الصحف والمجلات، حتى ملأت شهرتها الآفاق.

أمّا هند نسيم نوفل فكانت أول امرأة عربية تصدر صحيفة نسائية، حين أنشأت في مكان إقامتها في القاهرة مجلة «الفتاة» عام ١٨٩٢، وكانت واسعة العلم والثقافة، فاعتنت بتحرير مجلتها، واختارت موضوعاتها التاريخية والأدبية والاجتماعية -خصوصاً ما يخص المرأة- بنفسها، وبذلك استقطبت كثيراً من القارئات والقرّاء، وأقلام العديد من الأدبيات والأدباء.

أما الكسندرة الخوري أفرينوه (١٨٧٢-١٩٢٧) فقد قدمت عام ١٨٨٢ من بيروت مسقط رأسها لتقيم مع أسرتها في الإسكندرية. وفيها أصدرت مجلتها «أنيس الجليس» عام ١٨٩٨، ومجلة «اللوتس» بالفرنسية التي استمرت عشر سنوات، وجريدة «إقدام»

التي أنشأتها لخدمة الحركة الوطنية. ومن الإسكندرية راسلت جمعية السلام النسائية في أوروبا، وغادرت لتمثل المرأة في المؤتمرات والمعارض الدولية.

وكما استهوتها الصحافة والسياسة استهواها الأدب أيضاً، فأقامت في منزلها بالإسكندرية صالوناً أدبياً تدور فيه مختلف النشاطات والحوارات الفكرية، ونشرت مقالات في جريدة «المؤيد» وغيرها، وألّفت العديد من الأعمال الأدبية، حصلت بسببها على شهرة عالمية واسعة.

وثمة امرأة حلبية الأصل، ساهمت بفعالية كبيرة في الحركة الصحفية والسياسية في مصر، هي بتسي كبّابة تقلا (١٨٦٩-١٩٢٤)، أقامت في مصر واقترنت ببشارة تقلا أحد مؤسسي «الأهرام» في عام ١٨٨٩. وقد تولّت إدارة «الأهرام» ومطبعتها منذ وفاة زوجها عام ١٩٠١ وحتى وفاتها عام ١٩٢٤. شاركت في الحياة السياسية في مصر والشرق عموماً، وكان لها رأي مسموع في الأحداث، وتأثير في النهضة النسائية والحياة الاجتماعية والأدبية. ويرجع لها الفضل في بناء دار «الأهرام» بالقاهرة، وإنشاء النسخة الفرنسية منها. وكانت في توجهاتها الوطنية تتمثل سياسة الحزب الوطني، الذي كان زعيمه مصطفى كامل يستوحيها وهو يرتاد مكاتب «الأهرام».

وكانت لبيبة ماضي هاشم (١٨٨٠-١٩٤٧) قد انتقلت إلى مصر مع عائلتها عام ١٩٠٠ وأنشأت في القاهرة مجلة «فتاة الشرق» عام ١٩٠٦. كانت خطيبة بارعة وكاتبة مرموقة ذات ثقافة عالية، اهتمت بالحركة النسائية وبتثقيف المرأة وتربيتها، وساهمت في الجمعيات والمؤتمرات، وكتبت في «المقتطف» وغيرها، وشاركت إبراهيم اليازجي في تحرير «الضياء». وفي عام ١٩١١ طلب منها أن تحاضر في الجامعة المصرية، كما استدعتها الحكومة السورية عام ١٩١٩ لتقوم بأعمال التفتيش في وزارة المعارف بدمشق.

سافرت لبيبة هاشم إلى التشيلي، فأسست في سانتياغو في ١٩٢٣/٩/١٥ مجلة «الشرق والغرب» خمسة عشر عاماً حتى توقفها نهاية عام ١٩٣٩، وبذلك كانت أطول المجلات النسائية العربية عمراً.

ويسجّل للبيبة هاشم أنّها كانت من أوائل من نبّه إلى أخطار الصهيونية، وقد شاركت

في مؤتمر ١٩٢٩ الذي دعا لإلغاء وعد بلفور (١٩١٧). ونختتم بذكر المجلات النسائية التي أنشأتها النساء الشاميات في مصر حتى الحرب العالمية الأولى:

١- «الفتاة» لهند نوفل /١٨٩٢/ القاهرة. وهي أول مجلة نسائية عربية.

٢- «الفردوس» للويزا حبّالين /١٨٩٦/ القاهرة.

٣- «مرآة الحسناء» لمريم مظهر وسليم سركيس /١٨٩٦/ القاهرة.

٤- «انيس الجليس» لألكسندرة الخوري أفرينوه /١٨٩٨/ الإسكندرية. واللوتس بالفرنسية.

٥- «العائلة» لأستير أزهري مويال /١٨٩٩/ القاهرة.

٦- «المرأة» لأنيسة عطا الله /١٩٠١/ القاهرة.

٧- «السعادة»لروجينا عواد ١٩٠٢/٧/١ القاهرة.

٨- «السيدات والبنات» لروز أنطون وماري فرح ١٩٠٣/٤/١ الإسكندرية.

٩- «فتاة الشرق» للبيبة هاشم /١٩٠٦/ القاهرة. ■■

☆ ☆ ☆